تفريغ السلسلة الصوتية

تفسير

سُورَةِ الفَاتِحَةِ

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى - ١٤٤٧ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ سلسلة

تفسير سورة الفاتحة

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ

مركز إنتاج الأنصار



مؤسسة صرح الخلافة



الفهرس

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

يسر إخوانكم في مؤسسة صرح الخلافة أن يقدموا لكم تفريغًا لسلسلة (تفسير سورة الفاتحة) الصادرة عن إذاعة البيان، وهي من خمسة دروس، من إعداد الشيخ أبي سعد العتيبي رحمه الله، تمت مراجعتها نحويًّا ولغويًّا، وُحِّدت في السلسلة علامات التنصيص للآيات والأحاديث والأقوال كل على حسبه، ووحدت كذلك الألوان للآيات والأحاديث كل على حسبه، وخُرِّجت الأحاديث النبوية.

نسأل الله الكريم أن ينفع ويبارك فيها.

إخوانكم في صرح الخلافة



الدرس الأول: مقدمة في فضل القرآن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

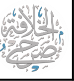
اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا يا رب العالمين.

نبدأ هذا اليوم بإذن الله في هذا الدرس المبارك بحول الله وبقوته في تفسير القرآن الكريم، ولعلنا نختار من كتاب الله ما تيسر، وما لهذا الدرس لا يكون مباركًا بحول الله وقوته وهو في مدارسة هذا الكتاب المبارك الذي تكلم الله به وأخبر عنه سبحانه وتعالى، وقال: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [سورة ص: ٢٩].

فهذا الكتاب فيه من البركات والخيرات ما لا يعلم بها إلا الله، فهنيئًا لمن جعل هذا الكتاب قائده، فإنه سوف يقوده إلى جنات النعيم، فهو كتابٌ مباركٌ، البركة تحل على من يقرأه، ويعمل به، ويتدبره، ويدعو إليه، والبركة تحل في البلاد التي تعمل به، حتى أن المسلمين عندما ينزل عيسى ابن مريم، وهو سوف يحكم الناس بهذا الكتاب، بالقرآن الكريم، سوف يأتيهم من الخيرات والبركات ما جاء في وصفه في أحاديث النبي ﷺ.

وتعلمون أن الله عز وجل عندما خلق السماوات والأرض، وأورث أبانا آدم وأسكنه الأرض، وجعل له ذرية، ما كان الله ليتركهم هكذا، لا يأمرهم ولا ينهاهم، لا يعدهم ولا يتوعدهم، لا يبشرهم ولا ينذرهم، هذا يتنافى مع حكمة الحكيم سبحانه وبحمده.

فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ماذا معهم الرسل؟ معهم الكتب المنزلة من الله سبحانه وتعالى، فكانوا يأمرون الناس وينهونهم ويدعونهم إلى الشرائع التي موجودة في هذه الكتب.



والكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى فيما نعلم: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم، وهناك رسل لا يعلمهم محمد ﷺ، فيدل هذا على أن هناك كتبًا أخرى، لكن فيما نعلم أن هذه هي الكتب التي أنزلها الله، واختص من رسله من شاء، وأنزل إليهم هذه الكتب.

فخير هذه الكتب هو القرآن الكريم، أنزله الله على خير رسول ﷺ، الذي بعث في خير أمة، فكان الرسل يؤتيهم الله من المعجزات والآيات البينات التي تقهر الخصوم، وتكون حجة أمامهم، كعيسى ابن مريم عليه السلام، كان في قومه انتشر الطب والإعجاز في الطب، فآتاه الله آيات على نحو هذا الأمر، فكان يحيي الموتى بإذن الله، رجل ميت يحييه بإذن الله عز وجل، يأخذ طين فيصنع منه كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، يولد الصبي أكمه لا يبصر، فيمسح عليه فيبصر بإذن الله، يأتي الرجل أبرص، يمسح عليه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فيصبح جسمه من أحسن ما يكون، آية ظاهرة بينة أن هذا رسول الله إلى هؤلاء القوم.

موسى عليه السلام انتشر في زمانه السحر، في كل مدينة سحرة مشعوذون يُضلُّون الناس، وقد يُدخلون الدين في سحرهم، ويغوون المجتمعات، فأرسل الله ذاك النبي عليه السلام الذي كان معه عصا يهش بها على غنمه، فجعلها الله سبحانه وتعالى آيةً كبرى، كما قال سبحانه وبحمده، أرسله إلى أمةٍ كاملة، إلى أكبر طاغوت في ذلك الزمان، دولة وجنود وحشود، سوف يدمرهم الله بهذه العصا، التي تنظر إليها فإذا هي عصا خشبية، بَعثَ في المدائن حاشرين، يظن أن موسى ساحر، عندما رأى العصا انقلبت حيَّة، قال: هذا ساحر، ونحن سنتعامل مع الساحر بسحرة أخطر منه، {وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ} [سورة الشعراء: ٣٦-٣٨]، كما قال الله سبحانه وتعالى، فأبطل الله سحرهم، وألقى تلك العصا، فإذا هي ثعبان ضخمٌ أكل هذه العصيَّ وهذه الحبال، وأخذ الناس يتدافعون، ومات الناس من هربهم من هذا الثعبان، فما ملكوا أنفسهم، وما استطاع هؤلاء السحرة الذين أتوا يحاربون رسول الله إلا أن يخرُّوا سُجدًا، فيقولوا: {آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} –ليس أنت يا فرعون- {رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ}.

وهكذا، حتى كانت هذه الأمة العرب، رعاة الغنم، أهل الفصاحة والبلاغة، يجتمعون في مِنى في الحج، قصائد وخمر، ويمجدون آباءهم ويمجدون أجدادهم؛ هذا شاعرٌ بليغ، وهذا أبلغُ منه، وهذا صاحب القصيدة الفلانية، نوادي وقصائدٌ وخمرٌ، هذا ما اشتهر بها المشركون، العرب الذين رفعهم الله وفتح لهم باب الرفعة والعزة، أن أنزل الكتاب بلغتهم، بلسانٍ عربيٍّ مبين.

اليوم هذا الدرس بإذن الله مقدِّمة عن القرآن الكريم، والدرس القادم نشرع في أفضل سورة وأعظم سورة في خير كتاب؛ وهي سورة الفاتحة.

فكانت أعظم آيةٍ آتاها الله للنبي ﷺ هذا القرآن الكريم، المشركون حضروا عند البيت الحرام، والنبي ﷺ يقرأ سورة النجم، فما بالك بهذه السورة، يقرأها حبيب الله، وخليل الله ﷺ، والمشركون يستمعون، والنبي ﷺ يقرأ وهم أعداؤه، وهم كفارٌ ولا يريدون هذا الدين، فماذا حدث معهم عندما سمعوا هذه السورة؟

عندما وصل النبي ﷺ إلى قوله: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨)}. إذا أتى عذابُ الله لا يكشفه أحدٌ، {أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)} [سورة النجم].

كلهم سجدوا، إلا واحدًا! أخذ من التراب وقال: يكفيني هذا، وخضع وحنى رأسه، ومات على الكفر!

ما بالكم يا مشركون؟ هل هذا ساحرٌ؟ كيف سجدتم لكلامه؟

بل روعة القرآن، بل جمال القرآن، صدع قلوبهم، فما ملكوا جوارحهم، فسجدوا لله سبحانه وبحمده.

يأتي المشركون، يجتمعون، يخططون، يريدون يطفئوا نور الله... ماذا نفعل؟

قال: اذهب يا أبا الوليد، اذهب يا عتبة، اعرض عليه الدنيا، اعرض عليه المال، اعرض عليه الزوجة، اعرض عليه المنصب، اعرض عليه الملك، يدعنا من هذا الدين الذي فرّق بين الأب وابنه، والمرأة وزوجها، هذا الدين الذي كفَّر به آباءنا وسفَّه به أحلامنا، اذهب!

فذهب أبو الوليد، فقال للنبي ﷺ كما جاء في السيرة، فقال النبي ﷺ: "يَا أبَا الْوَلِيدِ، قُلْ أَسْمَعْ لك".

فتكلم وعرض هذه الأمور، فقال النبي ﷺ: "أَفَرَغْتَ يَا أبَا الوَلِيدِ؟"، باقي عندك شيء، ولا انتهى؟

وهذا من حُسن أدبه ﷺ، مشرك، ماذا عند المشرك من الكلام، لكن اسمع منه، إذا أنت تنفرد بالكلام مع خصمك، قد يكون هذا سبب في صده عن دين الله.

قال: "أَفَرَغْتَ يَا أبَا الوَلِيدِ؟"، قال: نعم.

قال: "فَاسْتَمِعْ مِنِّي". فقرأ قول الله سبحانه وتعالى: {حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٢)} [سورة فصلت][1].

فأخذ النبي ﷺ يقرأ سورة فصلت، حتى وصل إلى قوله عز وجل: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ}.

ما تكفرون بأي أحد، تكفرون بمن خلق كل هذه الأرض في يومين!

إلى أن وصل قول الله عز وجل: {فَإِنْ أَعْرَضُوا}.

بعد هذا البيان، وجهٌ وآيتان تقريبًا من الآيات التي فيها من عظمة الله، وذكر صفاته، وجلاله سبحانه وتعالى.

قال: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ} فوضع يده على فم النبي ﷺ، وقال: (سألتك الله والرحم، لا تكمل يا محمد)، سألتك الله والرحم!

---

[1] رواه ابن إسحاق في السيرة (من مراسيل محمد بن كعب القرظي).

يعلم أن هذا كلام الله، {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}.

فرجع، فأبو جهل نظر، قال: (والله، لقد أتاكم بوجهٍ غير الذي ذهب به!). الحق، الحق يغيّر قلوب الرجال وفي وجوههم!

يأتي مصعب المدينة، فتحها الله بالقرآن الكريم، أرسل النبي ﷺ مصعب، وكان يسمى المقرئ، أرسله إلى أهل المدينة يُعلِّمهم دين الله، يقرأ عليهم القرآن، ويبيّن لهم هذا الكتاب العظيم، فكانت المدينة مأوى المهاجرين والمؤمنين من كل مكان، فأقيمت فيها دولة الإسلام، دولة محمد ﷺ، فالقرآن دخل في قلوبهم.

يأتي مصعب إلى بني عبد الأشهل، وكان أميرهم سعد بن معاذ، فعندما رآه سعد، أرسل من كان بجواره، وقال: سعد بن معاذ أتى مع أسعد بن زرارة، وهو قريب لسعد بن معاذ، قال سعد: (لولا قرابةٌ بيني وبين أسعد بن زرارة الأنصاري -الذي آوى مصعب المهاجر- قال لفعلتُ به)، ولكن اذهب أنت وسعيد بن الحضير، اذهب أنت وامنعه، يأتي نساءنا وأبناءنا ورجالنا، يصدُّهم عن دين آبائهم وأجدادهم.

فذهب، فصدق الله مصعب في دعوته، وقرأ عليه القرآن، فأسلم، ودخل الإيمان في قلبه، وأشرق وجهه، فعندما عاد إليهم، قالوا: (لقد أتى بوجه غير الذي ذهب به!).

فأخذ سعد حربته، قال: (ما أغنيتَ عنه شيئًا! أنا أذهب إليه، أنا أمنعه بالقوة -بقوة السلاح- لا يأتي دورنا ويصدُّ أبناءنا ونساءنا عن دين آبائنا!).

فعندما سمعه، أتى قال: (إنه سيد قومه، فاصدق الله فيه).

قال: اسمع مني.

قال: ما عندكم؟

قال كما جاء في معنى الرواية قال: اسمع منّا، إن كان حقًّا، وإلا تركناكم أو كذا..

فوضع الحربة، وقال: (قل).

فتلا عليه القرآن، فأشرق وجه سعد بن معاذ، ودخل الإيمان في قلبه، فجمع قومه، وقال: (يا بني عبد الأشهل، والله إن كلام رجالكم ونسائكم وأطفالكم عليَّ حرامٌ حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله!). فآمنوا، آمنوا جميعًا، وفي بعض الروايات، أنه ما تأخر بذلك اليوم من بني عبد الأشهل إلا رجلٌ واحد، وأسلم بعد ذلك!

وكم سنة، يقتل هذا الرجل، الذي حرك القرآن قلبه بإذن الله عز وجل، ويقتل في غزوة الخندق، وترى العجب العجاب من دعوته رضي الله عنه، عندما عاد من الغزوة، فرفع يديه، قال: (يا الله، تعلم أني لا أحبَّ إليَّ من قتال قومٍ أخرجوا نبيَّك ﷺ، فإن أبقيتَ الحرب بينه وبينهم فأبقني لها، يوم الخندق، ولا تمتني حتى تشفي صدري من بني قريظة الذين غدروا بالمسلمين، واجعل هذا الجرح لي شهادة!). فوضع الله الحرب بين النبي ﷺ وبين المشركين في مكة، فكانت الخندق آخر معركة، وشفى الله صدره من بني قريظة، وحكم فيهم بحكم الله عز وجل، وماذا بعد ذلك؟ انفجر ذات الجرح، فكانت شهادة لسعد بن معاذ! فقال النبي ﷺ: "اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ"[١].

فهذا هو القرآن الكريم، الذي حرك قلوب الصحابة، الذي قاد الصحابة به الأمم، بعد أن كانوا يرعون الغنم، قادوا الأمم بهذا القرآن الكريم، ما كانوا يكتبون الحديث، ممكن اثنان من الصحابة الذي ورد عنهم في السير أو في السنن أنهم كتبوا عن النبي ﷺ، قرآن في قلوبهم، ويجعلونه منهج حياتهم، وسيوفهم على أكتافهم.

ماذا تريدون؟ الفرس يقولون تريدون نصرف لكم أموالًا؟ ذبحكم الجوع؟ أتيتم تريدون المال؟ نعطيكم المال وارجعوا! يقول لربعي بن عامر، فماذا قال له؟ قال: (نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج مَن شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة).

---
[١] متفق عليه.

قالوا: وغير الإسلام؟ قال: تدفعون الجزية. قالوا: الإسلام؟ قال: إن أسلمتم، جعلنا فيكم من يحكمكم بكتاب الله، وتركناكم، لا نريد الملك ولا السلطة، نجعل فيكم من يحكمكم بكتاب الله، يقيم فيكم شرع الله.

إما القرآن، وإما الجزية، وإما القتل!

هذا ديدن الصحابة مع الكفار في الأرض؛ تسلم تصبح أخي، أو تدفع الجزية وتكون ذليلًا صاغرًا، ما تعلو ولا يكون معك قوة، ولا يكون معك سلاح، ولا تصد الناس عن دين الله، ولا تفتنهم عن دين الله، وغير هذا؟ ثلاثة أيام لا رابع لها، ونقاتلكم، ووعدنا النبي ﷺ أن نرث أرضكم، ومَن قُتل منا في الجنة، ومَن قُتل منكم في النار!

فحكموا الدنيا بهذا القرآن، والمواقف كثيرة التي يتبين لنا فيها أثر هذا القرآن العظيم.

ومما جاء في السير؛ أن مسيلمة الكذاب قال للناس وادَّعى النبوة، قال: أنا نبي، محمد نبي، وأنا نبي!

فأخذ يخبرهم من خزعبلاته: والعاجنات عجنا، والطاحنات طحنا، والضفدع اللي تنقين، ومدري الطين وتراب والطين...

قال: هذا قرآن.

العرب يعرفون اللغة العربية!

قال عمرو بن العاص: (والله، إنك تعلم أني أعلم أنك كاذب)، والله، إنك تعلم أني أعلم أنك كاذب!

إذا كان واحد أعرابي سمع القرآن: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالًا من الله، والله غفورٌ رحيمٌ). قال: (ليس كلام الله!).

أعرابي قال: هذا ليس كلام الله، قال كيف قال السارق والسارقة وغفورٌ رحيم؟!

قال، وأعادها أظنه الأصمعي: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)} [سورة المائدة].

قال: (نعم! عزَّ فحكمَ، فقطعَ).

وكم في القرآن من العجائب والمعجزات إلى يومنا هذا.

إن كنت طبيبًا دكتورًا، ستضع أنفك في الأرض صاغرًا لعظمة هذا القرآن.

إن كنت عالمًا في الفلك، وفي المجرات، وفي النجوم، وفي الكواكب، ثم تقرأ هذا القرآن، ستصبح ذليلًا صاغرًا أمام هذا القرآن.

إن كنت من أرباب البلاغة، وأهل اللغة، وأهل البيان، سوف تقرأ القرآن، وتعرف أنك لا شيء.

إن كنت عالمًا في الجيولوجيا، وفي الزراعة، وفي أي علم، أي علم، أي علم من العلوم الدنيوية، إن كنت بارعًا فيه، فأقبلت على القرآن، ستجد في القرآن ما يجعلك توقن بأنه كلام الله.

{الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)} [سورة البقرة]، أول شيء في هذا الكتاب، ترى ما فيه شك، ترى ما فيه خطأ.

كل مؤلف يكتب: بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام... نعتذر من القارئ الكريم، وإذا وجدتم خطأً راسلونا على البريد الإلكتروني، على رقم الجوال، الطبعة الأولى والثانية والخامسة والعاشرة...

ويموت والناس تعدِّل، ويموت والناس تعدِّل!

والقرآن يقول: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ}...

لا شك في مصدره، أنه من الله، لا شك في وعده، لا شك في وعيده، لا شك في أي خبر من أخباره، هو الحق، وهو الفصل، ليس بالهزل.

هذا دكتور اسمه موريس بوكاي، فأتى، ورأى الناس يصلون، يركعون، يسجدون خمس مرات في اليوم، في الرياض.

قال: (ما بالهم؟).

قال: هذا الدين، عندنا صلاة، يصلون، محافظون على دينهم، ما عندهم شك.

قال: فتساءلتُ، وسألت نفسي، لماذا نحن النصارى أصبح عندنا عدم التزام بالكنيسة، وأوامر الكنيسة، والإنجيل، وأصبح الدين شيئًا رمزيًّا في المجتمعات الأوروبية؟

فقال: فإذا بالسبب، أن الإنجيل فيه آيات تتعارض مع حقائق علمية ثابتة، لا تقبل النقاش والجدال!

فشككنا في هذا الكتاب، أنه منزل من الله؟ إذا الإنجيل مكتوب فيه أن الله يتصارع مع الأنبياء، الإنجيل الآن يُطبع في الكنائس، وموجود عند النصارى، وبنات لوط سقوا أباهم الخمر! ما هذا الكلام؟! هذا كلام لا يقبله الأطفال، الأطفال ما يقبلونه! فكيف بأهل العقول؟

فقال: هذا الذي جعلنا نشك في هذا الدين، ويصبح كما قلنا لكم يعني شيئًا رمزيًّا، اسمًا، وإلا أصلًا ما يعرفون دين النصرانية، علمانيون، النصرانية فيها تفسخ وعُري؟ ما فيها.

النصرانية فيها خمور؟ فيها ربا؟ لا، في الإنجيل ما فيه، وهذه من الأحكام التي ما حُرِّفت، ولكن أصلًا ما يقرأون، ولا يتدبرون، ولا يعلمون دينهم أصلًا.

ولو علموا دينهم، لما أحبُّوا اليهود الذين قتلوا إلههم!

عقيدة اليهود وش هي؟ أنهم قتلوه {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ} [النساء: ١٥٧]، يعتقدون أنه ابن زانية، وأنهم قتلوا ابن الزانية!

وهم معهم في كل مكان، يهود ونصارى ويقودونهم في الإعلام، ويقولون: إن هذه المرأة التي يرونها يسمونها مارية، وتلبس الحجاب، اليهود يقولون هذه زانية هذه، زنت مع فلان! والعياذ بالله.

فهذا النصراني قال: الآن أذهب إلى كتاب هؤلاء العرب، الذي أتى به محمد، وأطعن فيه من خلال الحقائق العلمية، وينتهون، لا يصلون ولا شيء، نطعن في دينهم من كتابهم!

فراح، وأخذ القرآن الكريم، ويدرس القرآن الكريم، وكانت النهاية أن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وغيرها القصص الكثير تدل على عظمة هذا القرآن وجماله، فنكتفي بهذا، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني: معنى {رَبِّ الْعَالَمِينَ}

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ابتدأنا في الدرس الماضي مقدمة في فضل القرآن، وفضل هذا الكتاب المنزل من الخالق العظيم ذي الجلال والإكرام على قلب خير المرسلين ﷺ، ولو تكلمنا لطال الكلام عن مكانة هذا القرآن وعظمة هذا القرآن، فالله يقسم به، والله ما يقسم إلا بشيء ذي أهمية وذي مكانة، ويقول: {ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)} [سورة ص]، {ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١)} [سورة ق]، وفي غيرها من الآيات: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)} [سورة الواقعة]. ما جواب القسم؟ {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)}. مكرم.

اختار الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ، وهو خير المرسلين لخير أمة، ونزّل عليهم أحسن الحديث: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ} [سورة الزمر: ٢٣]. فما أجمل أن يعيش الإنسان مع هذا القرآن، وأن يحيا من أجل ما جاء في هذا القرآن، وأن يموت من أجل ما جاء في هذا القرآن، وأن يكون القرآن قائده إلى جنات النعيم، كما جاء في بعض الروايات؛ يقول القرآن: أسهرتُ ليله. ويقول الصيام: أظمأت نهاره.

فالكلام يطول عن القرآن وفضل القرآن وأثره في قلوب الإنس والجن والكفار والفساق والمسلمين والعصاة.

إذا الله يقول سبحانه وتعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ} ليس على مضغة {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)} [سورة الحشر].

وخير وأفضل سورة في هذا الكتاب هي التي افترضها الله علينا في ثاني ركن من أركان الإسلام، ألا يجدر بنا أن نبدأ بها أولًا؟ ليس من الأدب أن نبدأ بغير هذه السورة، الذي افترض الله سماعها أو قراءتها في كل ركعة في أعظم فريضة، الصلوات الخمس، لماذا الفاتحة في كل ركعة؟ لماذا لا تكون ركعتين بالفاتحة وركعة آية الكرسي وركعة خواتيم البقرة؟ إلا الفاتحة ثم ما تيسر معك من القرآن.

إذًا هذه سورة مهمة فيها معانٍ وأصول عظيمة لا بد أن تكون في قلب كل إنسيٍّ وجنيٍّ، تريد زبدة الرسالات؟ في الفاتحة، تريد أن تعرف التوحيد، العقيدة؟ في الفاتحة، إذا علمت {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} عرفت التوحيد، ما يحتاج أجيب لك كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا نأتيك بغيرها من الكتب أو الواسطية، أو الطحاوية، أو السفارينية، أو غيرها من المؤلفات.

تعلَّم معنى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، وتعلَّم معنى {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، من هو رب العالمين؟ الذي يدبر أمرهم. وتعرف العقائد المغضوب عليهم والضالين.

ابتدأها الله، وقبل أن نشرع في تفسيرها نتكلم عن اسمها، وإذا كثرت أسماء الشيء دل هذا على أهميته، اسمها الفاتحة: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"[1]، سميت فاتحة الكتاب لأن المصلي عندما يكبر أول ما يستفتح من القرآن بالفاتحة، وسميت أم الكتاب كما سماها النبي ﷺ، وأمُّ الشيء أفضله، فلذلك مكة هي أم القرى وأفضل القرى، وفيها بيته العتيق، وكانت محل رسالة النبي ﷺ، نزل القرآن فيها، أشرقت الأرض بهذا القرآن وأشرقت قلوب الصحابة بهذا القرآن، أنزله الله في مكة، أم القرى.

فالقرآن؛ النبي ﷺ يقول: "أم الكتاب"[2]، إذًا هي أفضل الكتاب، وهناك أسماء أخرى كالسبع المثاني، وهي السبع الآيات التي تثنَّى وتكرر في كل ركعة، النبي ﷺ كان جالسًا وكان معه جبريل، فإذا بصوت في السماء، قال جبريل: (هَذَا بَابٌ فُتِحَ، نزل معه ملك لم ينزل

[1] متفق عليه.

[2] رواه مسلم وغيره بلفظ: "أم القرآن"، وذكر السمعاني في الاصطلام وغيره لفظ: "أم الكتاب" دون سند.

قبل هذا)، فقال للنبي ﷺ: (أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ)[٣].

ابتدأها الله بقوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قبل أن نتكلم عن معنى الحمد، الحمد ولماذا نحمد الله، نتعلم معنى {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وما معنى العالمين، وما معنى ربهم؟ جمع عالَم، عالم الإنس وعالم الجن وعالم الشياطين وعالم الملائكة وعالم النحل وعالم الأسماك وعالم الطيور وعالم النمل والنحل، عوالم كثيرة في السماوات وفي الأرضين، الله ربها، أي مدبر أمرها، الذي يتصرف فيها، ما أحد يمشي على كيفه في الدنيا، أبدًا، لك مشيئة ولك قدرة، وقدرة الله محيطة بقدرتك، ومشيئة الله محيطة بمشيئتك.

فالبحار لا تُغرق إلا إذا أذن الله أن تغرق، هذا النيل أغرق الله فيه فرعون ذا الأوتاد، صاحب الجنود وصاحب الملك وصاحب السلطان، أغرقه الله في هذا اليمّ، وهذا اليم نجَّى فيه الله الطفل الرضيع الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ} من سكاكين الطواغيت التي تقتل أبناء بني إسرائيل، فإذا خفتِ عليه {فَأَلْقِيهِ} ما قال خبّئيه، ألقيه، أين؟ في الحديقة في المزرعة أين؟ {فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي}، لا تخافي من إلقائه في البحر وأمواجه التي تتلاطم ولا تحزني على فراقه {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)} [سورة القصص].

النار ما تحرق إلا بإذن ربها، قالوا ابنوا له بنيانًا، ليس نارًا فقط، بل بنوا بنيانًا عظيمًا، ثم ملأوا هذا البنيان بالحطب وأوقدوا النار المحرقة، واجتمعت أهل العراق ينظرون، دولة كاملة، قيدوه، إبراهيم خليل الرحمن.

قالوا: {حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ} هم قالوا، فقال الله: {يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)} [سورة الأنبياء]. النار المحرقة أصبحت بردًا وسلامًا على إبراهيم، لأن الله ربها، ما أذن لها الله أن تحرقه، وجاء في بعض الروايات أنها أحرقت القيد الذي على يديه

---

[٣] رواه مسلم.

ورجليه، فأصبح يتحرك، نِعم الرب ربك يا إبراهيم! يقولون له: نِعم الرب ربك يا إبراهيم، الذي نجاك من النار.

المشركون أتوا إلى فم الغار يبحثون عن النبي ﷺ المطلوب الأمني الأول! لا بد أن تؤذى في هذا الطريق، إذا لم تؤذَ، واللهِ إنك لست بمؤمن، إذا لم تؤذَ في دين الله، فلست من المؤمنين، لأن الله قال: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا} أي بأفواههم {وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)} [سورة العنكبوت]. فبحثوا عن النبي ﷺ، ومما يُذكر أن قادة هذه الدولة ومَن يقودون هذه الدولة كلهم تخرجوا من هذه السجون، وكلهم أوذوا في سبيل الله، وعادوا طواغيت العالم كلهم، وأذن الله بقيام دولتهم، لأنه رب العالمين.

أتوا عند فم الغار وكانوا في مكان مرتفع، والنبي ﷺ في مكان منخفض، قال الصديق رضي الله عنه: (يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرنا)، إذا كان أحد في مكان منخفض منك ونظرت إلى رجليك ترى ما تحته، قال لو أبصر، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرنا، قال النبي ﷺ، وهو يعلم مَن هو رب العالمين قال: "يَا أَبَا بَكْرٍ؛ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟[١] لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"[٢].

وعندما أتى سُراقة على فرسه يريد النبي ﷺ، جاء في الرواية أن النبي ﷺ ما التفت، وكان يذكر الله، يعلم مَن هو رب العالمين، ينجيه من سراقة وآلافٍ من غيره، هداه الله إلى الإسلام بعد ذلك، فعندما اقترب، ساخت يدا فرسه في الأرض، قال: (علمت أنه دعا عليه) أبو بكر رضي الله عنه يتقدم ويتأخر ويلتفت، والنبي ﷺ يذكر رب العالمين ولا يلتفت.

رب العالمين الذي نجَّى الصحابة الكرام، وحمى دولة الإسلام في المدينة عندما اجتمع عليها عشرة آلاف مشرك {مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ}. أسد، غطفان، قريش، كل المشركين اجتمعوا، حاصروا رقعة صغيرة من الأرض فيها النور، وفيها الإيمان، وفيها

---

[١] رواه البخاري ومسلم.

[٢] رواه البيهقي، وقال ابن كثير عن الحديث الذي ذكر فيه رواية: "لا تحزن": وفي هذا السياق غرابةٌ ونكَارة. والأصل في قوله تعالى في سورة التوبة: {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}.

القلوب التي تعلم وتوقن من هو رب العالمين، اجتمع أبو سفيان وضربوا الخيام، وحاصروا المدينة، فماذا فعل رب العالمين بهم؟ كيف هُزموا؟ ما هي؟ هل سالت دماؤهم في الأرض؟ هل كانت هناك ملحمة عظيمة بسببها كفى الله شرهم؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)} [سورة الأحزاب]. ريح! اقتلعت خيامهم، أطفأت نيرانهم، قلبت قدورهم، والملائكة تسير في المعسكرات تكبر الله، فملأ الله قلوبهم رعبًا، فولَّوا منهزمين مدبرين، قال النبي ﷺ: "الْآنَ نَغْزُوهُمْ، وَلَا يَغْزُونَنا"[١]. وما تجرأوا على المدينة بعد ذلك اليوم.

يقول حذيفة -كما جاء في السير- عندما عاد وأتى بخبر المشركين، رأى رجالًا بيضًا فيما يراه هو، عليهم عمائم، قالوا: (أخبر صاحبك أن الله قد كفاه)، ملائكة الرحمن، رب العالمين يمد من يشاء بما يشاء من جنده، ثلاثمئة صحابي وألف مشرك، الخيول والإبل والعتاد والسلاح، والصحابة معهم فَرسان، فرس مع علي، وفرس مع المقداد، ثلاثة يركبون على جمل واحد، يتعاقبون على جمل واحد.

اقرأ الأنفال، لا تقرأ حروفها، افهم معانيها وتدبرها وتأملها، وانظر كيف نصر الله عباده المؤمنين في معركة بدر، وكيف أمدهم الله بمدد من عنده، وكيف نصرهم، سبعون من صناديد المشركين، العاص والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وأبو جهل فرعون هذه الأمة، وأُميَّة بن خلف، كلهم جرُّوا في القليب، الله قصم ظهورهم على أيدي قلة قليلة مؤمنة، {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦)}، إلى آخر الآيات: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)} [سورة الأنفال].

النبي ﷺ ما يشغل وقته كله في الخطط العسكرية، ليله ونهاره يخطط في الدنيا، ويلتفت قلبه لسلاحه ولرجاله، لا، الليل كله يبكي.

---

[١] رواه البخاري وأحمد.

يقول علي رضي الله عنه: ما منا أحد تلك الليلة إلا وهو نائم، إلا رسول الله ﷺ عند جذع شجرة يقول: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ"[١]، ساجد بين يدي الله، وعندما أقبل المشركون رفع يديه يدعو الله، ومعه سيف يقاتل به المشركين، كنا إذا حمي الوطيس احتمينا بالنبي ﷺ، النبي أشجع الناس ﷺ.

ادعوا، اذكروا الله، صوموا، تصدقوا، والجهاد؟ أين الجهاد؟ ما أمرنا الله بالجهاد؟ ما أمرنا الله بمقاتلة أعدائه؟!

ها هم دكاترة العالم ومشايخ السلاطين أشربوا في قلوبهم حب الطواغيت والرضوخ للدنيا، أخرجوا لنا أجيالًا منبطحة، أقزامًا في تاريخ البشرية، لحى وثياب قصيرة وعلوم وبخاري ومسلم وفتح الباري والمنهاج وعون المعبود وتحفة الأحوذي، وآخر شيء الجهاد اسمه إرهاب، والطواغيت اسمهم أولياء أمور، أفٍّ لكم وتُف، ولما تحملون من عقائد زائفة.

النبي ﷺ كان السيف في يمينه، وقلبه متوكلًا على الله، يقاتل أعداء الله ويتوكل على الله، فرفع يده فسقط رداؤه من الدعاء، يتحرك وهو يدعو، فسقط رداؤه فقال: يا رسول الله، إن الله منجزك ما وعدك. ألححت على ربك، ضمَّه الصديق، قال: "أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، هَذَا جِبْرِيلُ ممسك بِعنَانِ فرَسِهِ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ"[٢] جبريل معه خمسمئة من الملائكة، وميكائيل أو إسرافيل معه خمسمئة من الملائكة، الصحابي ينظر يسمع الصوت، أقدِم حيزوم، لا يرى حيزوم ولا مَن يقول أقدِم يا حيزوم، ملك من الملائكة فرسه حصانه اسمه حيزوم، يقول أقدِم حيزوم، فإذا بالرأس يسقط، يسقط الرأس أمام عينيه يسقط، جند الله، ملائكة الله سبحانه وبحمده.

[١] رواه النسائي والبزار والبيهقي والحاكم في المستدرك من طرق مختلفة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وليس في إسناده مذكور بجرح، وعلق الذهبي: القزاز كذبه أبو داود وأما ابن وهب فاختلف قولهم فيه وإسماعيل فيه جهالة.

[٢] رواه ابن إسحاق في السيرة، ورواه بنحوه البيهقي في الدلائل.

فما أحوجنا لهذا المعنى العظيم، رب العالمين، الله رب العالمين، يؤتي الملك من يشاء، ينزع الملك ممن يشاء، رب العالمين، ليس الأمم المتحدة ولا أوباما، ولا طواغيت الخليج طواغيت العرب، ولا الصين ولا اليابان، رب العالمين، الله، الله جل جلاله.

دولة، تقيمون دولة، يضحكون، اسمهم دولة إسلامية، ماذا دولة، مصدِّقون، دولة والوالي، يضحكون علينا، العرعور يقول: والٍ، مسمُّون واحدًا واليًا. ويضحك، مسمون واحدًا اسمه الوالي، من زمان ما سمع الوالي، يسمع جلالة الملك، المعظَّم في قلبه الخبيث، المرتد عن دين الله، يسخرون منَّا، لا وخلافة، وتصوَّر خلافة، دولة وخلافة، ونقيم شرع الله، ونحيا أعزة، ونموت دون شرع الله، كما قال النبي ﷺ: "يا ويح قريش أهلكتها الحرب، والله لأقاتلنهم حتى يُظهر الله هذا الدين، أو أهلك دونه"[1]، هذه سياسة محمد ﷺ، يظهر الله الدين أو أهلك دونه، فها هي ولله الحمد، أقامها الله ونصرها الله، وأيدها الله، وأقبل بقلوب الناس إليها أضعاف أضعاف أضعاف بعد هذه الحملة الصليبية، واجتماع الأمم المتحدة والكافرة، والقوى العظمى كما يسمونها، حاصرونا في تل رفعت وفي إعزاز، وفي مارع، ومدري وين قرى مكسرة، كسرتها طائرات الطاغوت بشار، ويظنون أننا لقمة سائغة، فرُّوجة يشترونها ويأكلونها، ما يعلمون أن الله يمكر بالماكرين، ويكيد لعباده المؤمنين، حاصرونا في القرى، ففتح الله لنا المدن تلو المدن.

الموصل كيف فتحها الله عز وجل على الدولة الإسلامية؟ آية من آيات الله، ثلة قليلة، عملية استشهادية، وبعض الإخوة الصادقين، سقط الجانب الأيسر، سقط الجانب الأيمن، فإذا بالمشركين فروا كما فرَّ أسلافهم، وألقى الله الرعب في قلوبهم.

الدولارات والأسلحة والعتاد والخير العظيم؛ جعلها الله تحت أرجل جنود الدولة الإسلامية عندما مدوا أيديهم إلى الله؛ ما مدوها لأردوغان وطاغوت الخليج السعودية والعراعير والبوطية ومشايخ السلاطين، فآتاهم الله، {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ

[1] رواه البخاري وأحمد والطبري والطبراني عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم, وذكره أبو سعد العتيبي مختصرًا وبالمعنى وأصل الحديث: "يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلَتْهُمْ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ؟ فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الإسلام وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ فَمَاذَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ وَاللَّهِ إِنِّي لا أَزَالُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ لَهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ".

عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)} [سورة المنافقون]. الرمادي بالمئات يفرون، بالصوت والصورة، أُدخل للنت وانظر، واحد عراقي جندي يصورهم، قال: تعالوا يا زلم، تعالوا عاركوا، والله تنذلون ببغداد. بتنذل في بغداد وفي الرمادي إلا أن تكون أخانا المسلم، وكل شوي حملة، حملة، مدري مين، استعادة الموصل، استعادة الأنبار، استعادة حلب، استعادة مدري مين، وكل شوي جماعة وكل شوي جبهة وكل شوي كوكتيل جديد، جبهة شامية، جبهة إسلامية، حفيد الصحابة، حفيد المختار، حفيد الشيطان، حفيد مدري مين، كل شوي يشكلون أحزابًا {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}.

والله لو أنهم يؤمنون بالله رب العالمين لما وقفوا في صفوف الكافرين، والله لو آمنوا بالله رب العالمين خالقًا رازقًا مدبرًا معينًا حكمًا والله ما وقفوا تحت ظل طائرات أمريكا، طائرات أمريكا الآن فوق حلب التي فتحها الصحابة رضي الله عنهم بجوار دابق التي فيها مقبرتهم، طائرات أمريكا تحلق وتحتها في ظلالها يركض جنود الجيش الحر المرتدون ومَن والاهم من جبهة النصرة وأحرار الشام، {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [سورة المائدة: ٥١]. الدين واضح، كلام الله واضح، {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)} [سورة المائدة]، {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ} [سورة آل عمران: ٨٣] كل الكون مستسلم، الشمس والقمر والطيور والحيتان، وأنت هذا كبرك في الدنيا رافع راية الجيش الحر ما تبغى تستسلم؟ ما تبغى تقول ديني الإسلام؟ ربي الله؟ أريد شرع الله؟ ما يؤمن برب العالمين، لا بد نعرف من هو رب العالمين، الذي يشفيك إذا مرضت، والله ما يشفيك إلا الله، قريبة لي في أفخم مستشفيات الجزيرة فيها مرض سرطان، الدكتور يقول: ما، خذوها ماذا نفعل؟ كل القسم يقول شيلوها ما عندنا علاج، طيب، دكتور فهمان دارس في كندا أنت ما أدري في فرنسا ما أدري أين دارس، والله ما عندي علاج سرطان ما اكتشفنا له علاجًا، {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} [سورة يونس: ١٠٧].

في ناس راحوا عند الإبل في الصحراء، يشربون لبن الإبل وأبوالها، وشفاهم الله، بدون دكاترة، بدون أدوية، الشافي الله، الذي يعطي هو الله، لو اجتمع الناس كلهم أن يمنعوك رزقًا ساقه الله لك، والله ما يستطيعون، العالم بأسره لو اجتمع حتى تأكل لقمة واحدة ما أذن الله لك بها، واللهِ لا تأكلها.

أتوا برجل في مغسلة الأموات، عندما وضعوه على خشبة الغسيل، غسَّلوا فمه، حبات رز، ما قسمها الله له! الرازق هو الله، أحدهم رأى ثعبانًا أعمى ما يرى، ثعبان أعمى، فخرج من جحره، كبير وأعمى وثعبان وما يتحرك، كيف يرزقه الله؟ كيف؟ خرج ففتح فمه، طائر في السماء حوَّل إلى أن دخل في فمه! {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [سورة هود: ٦].

نملة نملة صغيرة، تدفها كذا تطير، تدعسها بإصبعك الصغير تموت، كيف تجيب الرزق؟ كيف تروح وتجي؟ الله يرزقها، لا بد أن توقن أن الله رب العالمين، الرزق بيده، العطاء والمنع بيده، هو الذي يكشف الضر، وهو الذي يحيي ويميت، ويعلم الغيب، وبيده ملك الدنيا والآخرة.

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} [سورة الملك: ١-٢]. خلق الموت، وخلق الحياة، وخلق السماوات والأرض، ما يقدر عليهم؟ ما يرزقهم؟ ما يمنع عنهم الضر إذا نزل بهم؟ بلى وربي، بلى وربي قادر على كل شيء، فلا بد أن تؤمن برب العالمين.

واليوم سنكتفي بمعنى {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، والدرس القادم نتكلم عن معنى {الْحَمْدُ لِلَّهِ} وكم في هذا من معانٍ عظيمة، وخيرات تساق إليك بإذن الله، إذا حمدت الله وشكرته على نعمه الدينية ونعمه الدنيوية.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، بارك الله فيكم.

الدرس الثالث: معنى {الْحَمْدُ لِلَّهِ}

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

تكلمنا في الدرس الأول عن أهمية القرآن وعن عظمة هذا الكتاب، وعن الحاجة الماسة للدول والشعوب والأمم والإنس والجن إلى هذا الكتاب العظيم الذي فيه الخير والفوز والنجاح والهدى والبشرى والبيان، وهو موعظة الله للناس، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ} [سورة يونس: ٥٧].

ليست من الشيخ فلان أو علان، بل ولا من الرسل عليهم السلام، إنما هي موعظة من الخالق للمخلوق، فتنبه، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} [سورة يونس: ٥٧-٥٨] بهذا القرآن، فليفرحوا بما أتى فيه من البشرى، فليفرحوا بما أتى فيه من الوعد بالتمكين في الأرض والفوز في الجنة، فليفرحوا.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ}، القرآن يشفي صدرك، إذا رأيت الدولة للكافرين، ورأيتهم يعلون ويبطشون ويمكرون ويفسدون ويطغون في أرض الله؛ تقرأ القرآن يُشفى صدرك بإذن الله، تقرأ قصص الأنبياء والمرسلين وكيف الله ابتلاهم وكيف مكَّنهم، وإذا أوذيت في هذا الطريق ومعك قلة قليلة ثابتة وكثرة معرضة عن الله؛ ستجد في القرآن ما يشفي صدرك.

{قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ} [سورة الأعراف: ١٢٧-١٢٨] ليست لأوباما ولا للأمم المتحدة ولا طواغيت الخليج {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ} عراقي، سوري، من أهل

الجزيرة، من أهل السّند أو الهند أو الصين، {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)}.

تقرأ القرآن يشفي صدرك إن كنت مهمومًا، إن كنت مبتلًى، إن كنت مريضًا، تقرأ ماذا فعل الله بذاك العبد الأواب، {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)} [سورة ص].

كيف شفاه الله وكيف فرَّج عنه، فإن كنت مريضًا مبتلًى، ستجد في القرآن ما يشفي صدرك.

وإن كنت مأسورًا، والأغلال في يديك، والقيود في رجليك، يقودك جندي الطاغوت، تقرأ القرآن عندما قال يوسف عليه السلام: {أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ} [سورة يوسف: ١٠٠].

تقرأ قصته وهو يُلقى في مكان ضيق من الأرض، طفل صغير لا يستطيع أن يمتنع من الذئب، ألقوه في الجب في مكان صغير، ثم يُسجن ثم يُبتلى ثم يُؤذى، ثم يقول الله: {وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)} [سورة يوسف].

القرآن شفاء لما في الصدور، {مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)} [سورة يونس].

خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية.

شرف المؤمنين القرآن الكريم، الذي أصبح مادة إضافية للتسلية! يلَّا، قرأنا تفسير درسنا تفسير حصة واحدة في الأسبوع! إبليس، إبليس والله العظيم، إنه إبليس الذي صدَّ الناس عن القرآن الكريم!

ومَن يسمون بعلماء الأمة صدَّعوا رؤوسنا بكلام البشر وحواشي البشر، قال وقال وقال، وربنا ماذا قال؟ نحَّوا هذا الكتاب حتى من التدريس والتعليم!

شيخٌ شابت لحيته في طلب العلم، شابت حواجبه في طلب العلم، وإذا قلت له: ماذا يعني قول الله: {غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}؟ لا يعرف!

{فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ}؟ يقول اسمه نكتل، واحد من إخوة يوسف اسمه نكتل! ما معنى: {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا}؟ ما يعرف! وغيرها من الآيات.

فالأصل القرآن، الوحي المنزل، كلام الله، لا بد أن نعتني به ونهتم به ونتدارسه كل يوم، كل يوم ندرس القرآن، ندرس تفسير القرآن!

ليست علوم القرآن مرة في الأسبوع! والله ما ضلت الأمة، وما توكلت على غير الله، وما اعتمدت على غير الله، وما ضاعت هيبتها وعزها ومجدها؛ إلا عندما انشغلت عن كتاب الله بكلام البشر!

وعندما جعلت الأمة القرآن منهج الحياة؛ مكَّنهم سبحانه وتعالى في الأرض، مكَّنهم رغم أنوف الكافرين!

حكموا بشرع الله، خلاص! الله أمرنا نأتمر، نهانا ننتهي، ابتلينا أوذينا، نقيم دولة إسلامية!

مجانين، مجانين! قالوا لنا كما قال قوم نوح لنوح، يسخرون! نوح يصنع الفُلك في الصحراء، في البرية، يصنع سفينة، سفينة في الصحراء يا نوح! مجنون! {وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩)} [سورة القمر].

أقيم دولة، الله أمرني أن أطبق شرع الله، {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ} [سورة الحج:٤١] لازم يمكنني الله في الكرة الأرضية؟! النبي ﷺ ما مكَّن له إلا في المدينة، وأقام شرع الله! لا، لا، لازم نفتح مكة، بيت الله، نتمكَّن في الأرض، بعدها نقيم شرع الله! قلوب مريضة، ما تثق في الله ولا في وعده ولا في وعيده!

حكمت الدولة بشرع الله، لا حاضنة شعبية، ولا حاضنة دولية، ولا غيرها من المصطلحات والأصنام التي تعبد، فمكَّنها الله سبحانه وتعالى وأعزَّها.

توقفنا عند قول الله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. هذا، {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)} [سورة المدثر] رب العالمين، من يسقي هذه المخلوقات؟ من يطعمها؟ من الذي يدبر أمرها؟

كم نملة في الكرة الأرضية؟ كم كم؟ هناك أحد يعلم كم؟ ملايين.. مليارات.. ما يعلمها إلا الله، كم نحلة؟ كم بعوضة؟ كم دابة يرزقها الله؟

قال الله سبحانه وتعالى: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}. الآن تفصيل، التفصيل الذي سيأتي هو في البر، {وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ}، انظر! انظر لها تسقط، {وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ} أين؟ فوق الأرض؟ في ظلمات الأرض؟ في قيعان المحيطات؟ {وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)} [سورة الأنعام].

رب العالمين، مدبِّر أمرهم، قاضي حوائجهم، الصمد الذي تصمد إليه جميع الكائنات في حاجاتها، سبحانه وبحمده، فله الحمد، يستحق الحمد، الله أكبر، كم يمر حمد الله في أذكار النبي ﷺ؟ في الصلاة، كم تحمد الله؟ سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده، فحمدُ الله في الصلوات وفي الأذكار، النبي ﷺ إذا ركب الدابة ماذا يقول؟ بسم الله، الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا. إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة.

على ماذا تحمد الله؟ كم نعمة عندك أنت؟ عندك عيون، عندك أنف، عندك أسنان، عندك قلب، عندك رئتان، عندك كبد، عندك رجل، عندك أظفار، عندك أعصاب، عندك شرايين!

{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ} [سورة لقمان:٢٠] استشعر نعم الله عليك، الله يقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [سورة فاطر: ٣]، {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [سورة النحل: ١٨].

مستشفى عندنا في الجزيرة، تدخله ينغسل قلبك، ينغسل قلبك! والله، تدخل هذا المستشفى، ناس ما يتحرك فيهم شيء إلا عيونهم، فقط عيونه تتحرك ويتنفس، وأنت تمشي قدَّامه، وتروح وتجيء، والأكل مع الأنف! يضعون عليهم هنا كريمات كي لا تتآكل أجسادهم، يقلِّبونهم ذات اليمين وذات الشمال كي لا تتآكل أجسادهم، ومكتوب عليه (١٤١٠)، عشرون سنة على السرير!

حوادث السيارات عندنا، تاريخ الدخول (١٤٢٠، ١٤١٠، ١٤١٦) هناك أحد يُشفى؟ قال: والله يا شيخ، من هنا على المقبرة! احمد الله سبحانه وتعالى.

خذ القناعة من دنياك وارضَ بها *** لو لم يكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها *** هل راح منها بغير القطن والكفن

واحد شحَّاذ يشحذ، عند القصر وجاء يشحذ، نائم عند البوابة، مكيِّف، نائم! وصاحب القصر يشرب حبوبًا كي ينام، يشرب حبوبًا يعطونه إبرًا كي ينام، سكر وضغط وما أدري ماذا، وهذا الفقير تلقاه يأكل من كل ما لذ وطاب! الحمد لله رب العالمين.

فإذا قلت: الحمد لله رب العالمين، استشعر نعم الله، نعمة الدين أعظم نعمة يمنُّ الله بها على عبد من عباده، نعمة الإسلام، لأنك إن مت وأنت معاق، وأنت لا ترى، لا تسمع، لا تتكلم، وأنت مسلم، أين تروح؟ للجنة، عمرك ٣٣ سنة، جمال، نعيم، تشوف، تسمع، تأكل وتشرب ما تشتهيه الأنفس، لكن لو مت وأنت من أنعَم أهل الدنيا، وما عندك دين ولا إيمان، أين تروح؟ زقوم، حميم، غساق، عقارب، سلاسل، أغلال، عذاب عظيم، قال النبي ﷺ: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا وهو من أهل النار فيغمس في النار غمسة، فيقول الله له: يا عبدي، هل مر بك نعيم قط؟ قال: لا يا رب، لا، يا رب"[١]. غمسة واحدة في جهنم، نسي الملوك والأموال والسلطة والجنود، ودخل الملك وطلع الملك، والصور، والجرائد، والمجلات، كلها غمسة واحدة في جهنم، "وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا"، فقير، مسكين، مريض، لكنه موحِّد، مسلم، يُوضع في الجنة وقت قليل، "يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ

[١] لم يرو الحديث بهذا اللفظ وورد بألفاظ مقاربة.

بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ"[١]. ٤٠ سنة عاش فقيرًا، محتاجًا، مسكينًا، مريضًا، نسي كل هذه الهموم والغموم، بلحظات، في جنات النعيم، فالحمد لله على نعمة الإسلام، نعمة التوحيد، حب الله وحب الرسول ﷺ ومحبة الصحابة وحب هذا الكتاب العظيم والقتال من أجل هذا الكتاب وتحكيمه في أرض الله، أعظم نعمة أنك تقاتل في سبيل الله، تنصر دين الله، تحيا من أجل الله، تموت من أجل الله، {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)} [سورة الأنعام] نعمة أنك تُحكم بكتاب الله، وبشرع الله، ينشأ ابنك على التوحيد، تنشأ ابنتك على العفة، على الطهارة، على الصدق، على الإخلاص، على الستر، على الشرف، على الفضيلة، أموال، لا تأكل ربا، لا يوجد بنوك ربوية، تأكل طيبًا تأكل حلالًا، البركة تكون في بيتك، في أهلك، ما ترى المنكرات، ما تسمع أحدًا يسب الله جل جلاله، لا تسمع أحدًا يسب الصحابة، لا ترى أحدًا يكفر ويشرك بالله.

الآن أطهر بقاع الله مكة والمدينة؛ ترى الكفر والشرك بعيونك، ترى عند مقبرة الشهداء عند حمزة، يأتي الروافض صافّين فرقة موسيقية، واحد قدام والبقية وراء (يا حمزة) يغنون، مواويل شركية، والله أنا سمعتها عند المقبرة، يا حمزة قطعت المفاوز إليك، هكذا يقول، أين؟ في جوار قبر محمد ﷺ.

منبع الهدى والنور المدينة النبوية، أشرقت الأرض كلها بنور التوحيد من هذه المدينة، والآن أصبحت ملجأ للمشركين يأتون من قم ومن طهران، ومن.. ذاهبون قادمون، ويأتون الحسبة حسبة الجزيرة؛ الصلاة الصلاة الصلاة الصلاة، وهو قاعد يشرك، يلبِسون الحق في الباطل، يغشُّون الناس، لحية ومقصر الثوب يأتي عند الروافض يقول: الصلاة الصلاة صلاة صلاة. هذا مشرك يا ولي الطاغوت. يقول: ولي أمري أمرني. ولي أمرك أمرك ربك الطاغوت سلمان وعبد الله في الحرم النبوي، ترى المدينة حرم، كما مكة حرم المدينة حرم أيضًا، يُدرس فيها الكفر. والله والله يُدرس فيها الكفر، أقسم برب العزة والجلال، يدرس حول الروضة الشريفة، يدرس الكفر والشرك والإيمان بالطواغيت، ومحاربة دين الله،

---

[١] رواه مسلم وأحمد وابن ماجة من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه.

يسألون عبد الرزاق عبد المحسن العباد وهو شيخ من أكبر مشايخ الحرم، يسألونه عن المجاهدين، قال: هم هؤلاء المقاتلون، هم مقاتلون في سبيل الطاغوت. الله أكبر، نحن نقاتل في سبيل الطاغوت؟! نحكم بشرع الله ونكفر بالأمم المتحدة وقوانينها وكفار الأرض كلهم، وأنت بمكة ولي أمرك الطاغوت عبد الله يجتمع بالروافض، ويطلع المفتي يقول: نحمد الله، اجتمعنا بإخوان لنا في العقيدة في مكة. والله بمكة.

مؤتمر حوار الأديان، جمعوا المبتدعة والمشركين، وجلسوا في مكة، حوار الأديان، حوار الأديان، تراه انطلق من مكة، وبعدها عندما انتهى الخطاب ماسك عبد العزيز الطاغوت عبد العزيز آل الشيخ أعمى القلب والبصر، وماسكه خامنئي حق إيران ما أدري ما اسمه، بعدها يمسكه بيد ويمسك عبد العزيز آل الشيخ بيد، هذه نتيجة هذا المؤتمر، سنة وشيعة يمشي بهم هكذا، وفي الطريق من وقف؟ أبو بكر الجزائري مدرس الحرم النبوي، وقف لهم في الطريق بالسيارة يريد يسلم على عبد الله، ويرفع يده، وهو في كرسيه، يدافع عن الطاغوت، يدعو له والعياذ بالله، أبو بكر الجزائري مدرس الحرم النبوي، وبعدما اجتمعوا في مكة، أين ذهبوا؟ إلى إسبانيا، يريدون يرجعون الأندلس ههه. أين ذهبوا؟ إلى إسبانيا، وأقاموا المؤتمر العالمي لحوار الأديان، جمعوا فيه كل كفار العالم، حتى واحد قدَّامهم لابس إزار ورداء أحمر، ومقرع رأسه، أصلع، ومعه حديدة كذا، ما أدري ما دينه هذا، أديان أديان من كل الأديان. أعوذ بالله، ومن حاضر؟ أئمة الحرم المكي، ابن حميد، وما أدري من الثاني، طواغيت الحرم، دكاترة في العقيدة والفقه المقارن، قادمون لحوار الأديان، ويا ليتهم يتحاورون مع الكفار ويبينون لهم كفرهم، فهذا ديدن المرسلين، ولكنهم يعترفون بأديانهم المحرفة بنص الخطاب الرسمي، في نهاية هذا المؤتمر يقول عبد الله هذا الطاغوت: وكل من دعا إلى الصراع بين الحضارات على مر التاريخ إرهابي!. وقتَل داود جالوت.. إرهابي على فهمه، بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده.. إرهابي حسب ما يقول هو، صلوات ربي وسلامه عليه، الرحمة تحت سيفه ﷺ، خير وفوز الدنيا والآخرة، تحت سيوف الموحدين؛ لأنهم يخرجون الناس من العبودية للمخلوق للعبودية للخالق بتحكيم شرعه.

ويقول أمامهم والمشايخ واللحى قدَّامه: كلنا نتجه إلى إله واحد، في إيمان وإخلاص، توراة، إنجيل، قرآن. قالوا: أنتم ما اسمكم؟ اليابانيون والكوريون جالسون قدامه، قال أنتم فيكم خير لشعوبكم، لكن لا لا، بس ثلاثة: توراة، إنجيل، قرآن. قال: أنتم جيدون، لكن الصح نحن واليهود والنصارى.

لماذا نتكلم عن هذا الأمر؟ كي تعرف نعمة الله عليك بأنك تحكم بالشريعة الإسلامية، وهؤلاء الجيش الحر ومن والاهم من الكتائب التي تدعي الإسلام، والله لن يأتوا بدين أحسن من دين آل سعود، وهو الدين الذي يهيئون أرض الشام من بداية الثورة حتى يدخلون هذا الدين لحية وقصِّر ثوبك وضع مسواكًا طويلًا، واقرأ القرآن، وحلقات تحفيظ القرآن، وإطعام المساكين، وجامعات إسلامية، واذكر الله وسبح الله، لكن السياسة، اترك السياسة، العلاقات الخارجية مع الدول، لا تدخل الدين في كل حاجة، الدين في كل شيء، الدين في المسجد، الدين في المسجد في بيتك، ليس لنا دخل فيه.

علاقات دولية، ماذا دول صديقة؟ الكفار، دول صديقة، الآخر، لا يقول الكافر، يقول الآخر، حوارنا مع الآخر، موقفنا من الآخر، مَن الآخر هذا؟ الكافر، الله يقول: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} وهو يقول: الآخر.

القتال، الجهاد: إرهاب، إرهابيون، خوارج مارقون، والسجون تنتظركم، والخطب والمنابر بالريموت كنترول، من أين؟ من البيت الأبيض، ليس حتى من وزارة الداخلية، بل من البيت الأبيض، هل رأيتم خطيبًا في الحرم يخطب بدون ورقة، السديس دكتور، دكتور طيب، تكلم بدون ورقة، حرف حرف مقروءة، ومُعدَّة، لا يستطيع تجاوزها، فقط يزيد عليها البكاء.

يبكي، قتلوا الأبرياء، ويبكي، يوم قتلنا صنم الرأسمالية في الكرة الأرضية، قاعد يبكي عليهم، ويناشد الأمم المتحدة في الخطبة الأخيرة على تنظيم داعش ما أدري ماذا قال، هذه موجودة أنا رأيتها صوتًا وصورة، يخرجون لنا.

اسمع، حتى تعرف نعمة الله، يخطب بك موحد من الموحدين، هذه نعمة تسمع الحق، ما يأتيك أحد يلبِس الحق بالباطل فيغويك، وبئس الورد المورود جهنم.

قال: يخرجون لنا جيلًا، هو السديس يقول أين؟ عند الكعبة، الكعبة التي بناها إبراهيم الموحد عليه السلام، قال: يخرجون لنا جيلاً يؤمن بالعنف والصراع بين الحضارات، ولا يؤمن بتحاورها وتناغمها. من أين جلبت التناغم هذه، تناغم نغمات موسيقية؟ أين التناغم. ولا يؤمن بتحاورها وتناغمها. لا حول ولا قوة إلا بالله.

إمام الحرم ابن حميد، تعرفونه الدكتور ابن حميد، ماذا يقول؟ هيلاري كلينتون جاءت، أين جاءت؟ مجلس الشورى، الشورى، أصحاب الشورى.

والله يوم بيعة نايف هذا أتوا بواحد قارئ من تماثيلهم اسمه الماجد، وجلست وضعوا له الكرسي، ما الآية التي قرأها قبل أن يضعوا نايف؟ يقول: {لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [سورة الفتح:١٨] أعوذ بالله، ابن حميد هذا نرجع لمجلس الشورى، مجلس الشورى، هيلاري كلينتون يسلم عليها ويصلي بملايين المسلمين، ويسلم على النصرانية! من أين جلبت الفتوى هذه؟

أين مس المرأة الأجنبية من أين جلبتها، يسلم عليها، وبعدها أين جلست؟ جلست على كرسي رئيس مجلس الشورى، جلست ولابسة.. نصف سيقانها ظاهرة، وتأخذ المطرقة، مجلس الشورى ومطرقة مثل البرلمانات، ومجلس شورى واللقاءات الدورية لأعضاء برلمانات العالم يجتمعون، وهذا رئيس مجلس الشورى يذهب معهم، لمَ تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟، ويريدون يدخلون الدين هذا الأمريكي، يريدون يدخلونه في الشام.

ويأتي جون مكين نائب أوباما لمكافحة الإرهاب، يتمشى في الريف الشمالي، جون مكين نائب أوباما لمكافحة الإرهاب، النصراني ابن النصرانية، يأتي يدور في الريف الشمالي الذي فتحه الصحابة رضي الله عنهم، يتمشى جون مكين ومعه واحدة سورية على اليسار، ومعه الجيش الحر على اليمين، لا ليست سورية أعني واضعة شعارًا، سورية لابسة حجابًا،

إسلام معتدل إسلام وسطي، صورة أمام الناس جالسة وبجنبها الجيش الحر لابس حزام مسدس وجالسون وراءه، {أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)} [سورة النساء]، عندما تقدم الإخوة باتجاه أربيل، أخذ التحالف يضرب الإخوة عند سد الموصل وعلى حدود أربيل، فقتل من الإخوة من الشهداء نحسبهم والله حسيبهم، ويخرج في الإعلام، هذا عبد العزيز سلامة يصرخ بأعلى صوته: نريد من التحالف أن يفعل بهذا التنظيم في سوريا كما فعل به في العراق. حدث أم لم يحدث؟

الآن موجودة؛ غرفة عمليات حلب، أحرار الشام، جبهة النصرة، الجبهة الإسلامية، الجبهة الشامية، الجبهة المهلبية، جبهات كلها، واحد منهم يقول للتحالف: ما هذه الازدواجية في التعامل مع الشعب السوري، لماذا عندكم ازدواجية؟ الـPKK والأكراد تنصرونهم وتقتلون داعش لأنها دخلت أرضهم، ونحن تتركونا هكذا، لماذا الازدواجية هذه، لماذا لا يأتينا الطيران؟. لا يستحون، لا دين ولا حياء ولا رجولة، والعياذ بالله.

والآن يقاتلون تحت ظل الطائرات الصليبية، وتحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى، عشرون ألف جماعة، كل يوم كتيبة، كل يوم جماعة، فاحمدوا الله على هذه النعمة، والله احمدوا الله على نعمة وجودكم في هذه الدولة وأنكم تحكمون فيها بشرع الله، فكم من الخيرات الدينية وكم من الخيرات الدنيوية تأتي ببركات تطبيق شريعة الله سبحانه وبحمده، وبهذا نختم تفسير قول الله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. ولعلنا الدرس القادم بإذن الله نختصر، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع: معنى {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ما زلنا في هذه السورة المباركة، في هذا الكتاب المبارك الذي أنزل على هذا الرجل المبارك محمد ﷺ، وننتقل من الآية الأولى إلى الآية الثانية، والصحيح في سورة الفاتحة أن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة، وإنما هي آية في سورة النمل، لقول النبي ﷺ في الحديث القدسي إن الله قال: {قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ}[١].

فالصحيح أن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة ولو كُتبت الآن في مصاحفنا آية، لم يثبت عن النبي ﷺ أنه جهر بها، الصحيح عدم الجهر بها.

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} اسمان من أسماء الله يتضمنان صفة من صفات الله عز وجل.

وهذه قاعدة خذها معك؛ كل اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى يتضمن صفة من صفاته العليا التي لا يشاركه فيها أحد، فالرحمن يتضمن صفة الرحمة، واسم القوي يتضمن صفة القوة، واسم العزيز يتضمن صفة العزة، واسم الملك يتضمن صفة الملك، واسم القدير يتضمن صفة القدرة، والله أثنى على نفسه في هذا الكتاب بذكر أسمائه وصفاته سبحانه وبحمده.

---

[١] تكملة الحديث: {فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ}. رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم من طريق أبي هريرة.

وأعظم العلوم أن تتعرف على صفات الله، فمن آمن بالله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، يؤثر هذا في حياته وفي سلوكه وفي جوارحه، وفي ظاهره وفي باطنه، إذا علم أن ربه سميع، ويتضمن هذا صفة السمع، فالله يسمع الأصوات باختلاف اللغات وتعدد الحاجات، ولا يشغله سبحانه وبحمده سمعٌ عن سمع.

النبي ﷺ كان جالسًا في بيته، أتته خولة رضي الله عنها، قال لها زوجها: أنت عليَّ كظهر أمي، فأتت النبي ﷺ، وما كان عنده وحي يَفصل في هذه المسألة، وأخذت تجادله كما جاء في الآية، فقالت أم المؤمنين عائشة: (سبحان الذي وسع سمعه الأصوات)[١]، أتت المجادلة تجادل رسول الله ﷺ في جانب البيت، يخفى علي كلامها أو بعض كلامها، فينزل الله فيها صدر سورة من سور القرآن الكريم: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} [سورة المجادلة: ١].

فالمؤمن عندما يسمع أن الله يسمعه، يتقرب إلى الله بكل كلمة طيبة، ويتعبد لله بالكف عن كل كلمة تُبعده عن الله عز وجل، وإذا آمن أن الله بصير فيراه أينما كان سبحانه وبحمده، يخشى الله ويخافه ويستشعر أن الله يراه ويسمعه وأحاطت به قدرته، فحينها يعبد الله حق عبادته كما أمره.

فأعظم العلوم أن تتعلم صفات الله، هنيئًا لمن آمن بالله عز وجل، وعرفه بصفاته سبحانه وبحمده، ويطيب لنا أن نتكلم عن موضوع زلَّت فيه أقدام علماء كبار، فسَّروا القرآن وشرحوا الحديث، وتصدَّروا للتدريس والفتيا والعلم، ومع ذلك زلَّت أقدامهم في هذا الباب، فربهم جل وعلا، ربنا وربهم، وصف نفسه بصفات فعطَّلوا صفات الله عز وجل عندما حرَّفوا فيها، وأخذوا يقحمون عقولهم في إدراك كيفيات الله، فخرجوا بهذا المنهج الباطل، وهو تحريف صفات الله عز وجل.

فقالوا: يد الله، أي قدرة الله. الله الآن يصف نفسه بأن له يدين، ويقول في كتابه: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

---

[١] رواه البخاري وأحمد وابن ماجه.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)} [سورة الزمر]. ومحمد ﷺ يقرأ هذه الآية أمام الصحابة، ويشير بيديه، ويقول إن الله سبحانه وتعالى يطوي السماوات بيمينه، ويقبض الأرضين بيده الأخرى، مثبتًا هذه الصفة لله عز وجل، وهي صفة اليدين، {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [سورة المائدة: ٦٤].

يقولون: قدرة. طيب، إذا قال الله: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [سورة ص: ٧٥]، فكيف يكون؟ يعني بقدرتي؟ والرد عليهم يسير وسهل، وما أحد من الصحابة قال هذا الأمر، أن يد الله أي قدرة الله، ولا النبي ﷺ قال ذلك، بل اليهودي عندما أتى النبي ﷺ وقال: إن الله يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، النبي ﷺ ضحك من إيمان هذا اليهودي بصفات الله عز وجل، وكفره بهذا الكتاب وهو التوراة، وهذا القرآن المصدق لما بين يديه.

فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)} [سورة الشورى].

الأمر الأول: أن تؤمن أن كل ما كان في بالك فالله خلاف ذلك، كيف يد الله؟ وتفكر وتفكر، هذا ما يجوز وحرام، ولا يجوز لك أن تخوض في هذا الأمر، لأن عقلك أيها الإنسان صغير، لن تستطيع أن تدرك صفات ربك جل وعلا. يقول سبحانه وبحمده: {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [سورة الأنعام: ١٠٣]، يقول الله جل وعلا: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)} [سورة طه].

فنضرب مثالًا بسيطًا: قالت نملةٌ، تكلمت، {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)} [سورة النمل]. فبنص القرآن أن هذا النمل يتكلم، هل أحد منكم سمع النملة تتكلم؟ أو يستطيع أن يخبرنا كيف النملة تتكلم؟ لكن كيفية الكلام ما أحد يستطيع، سليمان عليه السلام سمع كلامها، ولا يستطيع أحد غير سليمان أن يدرك كيفية صفة هذه النملة، مع أنها مخلوق من أصغر مخلوقات الله عز وجل، ولا تستطيع بعقلك أيها الإنسان أن تدرك كيفية هذا الكلام، وكيف تخرج هذه

الحروف، وما مقدار هذا الصوت، فما بالك بصفات خالق هذه الكائنات سبحانه وبحمده.

لو أتيتَ ببَهيمة من الشارع وأخذتَ تقول: (هذا جوال جلاكسي)، ومن هنا تحط بلاي، وهنا تُشغل الصوتيات، بهيمة بهيمة تخبرها كيف تستخدم جوال الجلاكسي، تستطيع؟ عندها حدود في تفكيرها، ما تستطيع أن تدرك هذه الأجهزة وهذه التقنية، كذلك أنت، سمعك له حدود أو ليس له حدود؟ لك قدرة في سمعك، وقدرة في بصرك، و قدرة في فهمك، وفي عقلك، فلا تستطيع أن تدرك كيفية صفات ربك جل وعلا، وتؤمن بها هذا الأمر الأول، ولا تحرفها، فهذا هو الأدب مع الله سبحانه وتعالى.

المعطلة قالوا: إن الله سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، فعطَّلوا صفات الله عز وجل، والأشاعرة تأوَّلوها قالوا: اليد معناها القدرة، والعرش معناه السيطرة على الملك، استوى على العرش أي سيطر على الملك. والصحيح أن الله سبحانه وتعالى استوى على هذا العرش العظيم استواءً يليق بجلاله وجماله وكماله، وأن العرش مخلوق من مخلوقات الله وله قوائم، كما قال النبي ﷺ: "فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ"[١]. وهذا العرش له ظل، وهذا العرش فيه قناديل تأوي إليه تلك الطيور الخضر التي يجعل الله في أجوافها أرواح الشهداء، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة في عرش الرحمن.

وهذا العرش في يوم من الأيام اهتز، وأخبر النبي ﷺ باهتزازه، فيقولون المُلك، نقول كيف المُلك يهتز؟ اهتز مُلك الله عز وجل؟ المُلك يُحمل؟ {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧)} [سورة الحاقة]. والله يقول: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ} [سورة غافر: ٧]، فهو عرشٌ خلقه الله عز وجل، وهو أعظم مخلوق بلغنا أنه هو العرش، وتحته جنة الرحمن، وتحته الفردوس، وبعد ذلك الجنان تكون تحت العرش، والله استوى على هذا العرش استواءً يليق بجلاله.

---

[١] رواه البخاري.

فنقول في صفات الله جميعها كما قال الإمام مالك عندما أتى رجل قال يسأله عن الاستواء، فقال الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة). فنؤمن أن الله له يدان، وأن الله له عينان سبحانه وبحمده، ولا نتأوَّل صفة العين، ونقول: الحفظ أو الرعاية، هي تعني في القرآن فيها في القرآن إثبات صفة العينين لله.

وأيضًا، يُراد بها الحفظ والرعاية، {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [سورة الطور:٤٨]، والنبي ﷺ عندما أخبر عن المسيح الدجال، قال: "إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ"[١]. ونثبت لله صفة العينين، ونثبت له صفة اليدين ونثبت له صفة الاستواء على العرش ونثبت له صفة المجيء يوم القيامة، {وَجَاءَ رَبُّكَ} [سورة الفجر:٢٢] نؤمن أن الله سوف يجيء، كيف؟ لا أعلم، ولا تقل كيف، ولا تبحث في الكيف، بل تؤمن بالله وتثبت صفاته ولا تؤوِّلها ولا تحرفها، فتنفي صفات الله سبحانه وتعالى.

كذلك ونؤمن بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، بغير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

التحريف معنوي ولفظي؛ المعنوي الذي ذكرناه (تحريف المعنى) يقول: استوى أي سيطر. والتحريف اللفظي يقولون: استولى. يقرأونها (استولى)، هذا تحريف لفظي.

والتعطيل، أي إنكار الصفة؛ مأخوذة من الجيد المعطل الذي ليس فيه حلي.

فاللهُ وصف نفسه بصفات، لا تقل: الله سميع بلا سمعٍ، بصير بلا بصرٍ. هذا مذهب أهل التعطيل.

وكذلك التمثيل، التمثيل أن تقول: يد الله كيد فلان، هذا اسمه تمثيل، يد الله كيد الإنسان، عين الله كعين الإنسان، هذا اسمه التمثيل، ويُسمونه أيضًا التشبيه.

---

[١] رواه البخاري من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه.

أيضا نُؤمن بأن الله سبحانه وتعالى جميل، وسبحانه وتعالى له وجه، كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)} [سورة الرحمن]. والنبي ﷺ قال: "أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ"[١]. والنبي ﷺ سُئِل: هل رأيت ربك؟ قال: "نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ"[٢]، [وقال:] "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"[٣] أي بهاء وجهه سبحانه وبحمده، وأن المؤمنين يوم القيامة سوف يرون ربهم[٤]، كما قال النبي ﷺ[٥].

فكثيرٌ من أهل المذاهب الباطلة ينكرون رؤية الله عز وجل، ويقحمون عقولهم الصغيرة، ويقولون: كيف المخلوق يرى الخالق؟ الله سبحانه وتعالى خلق هذا القمر، وفي وقت واحد كل الناس يستطيعون أن ينظروا إلى هذا القمر، إذا كانوا في الجهة التي فيها الليل يرفع رأسه إلى السماء ويتمكن من الرؤية والنظر إلى هذا المخلوق الصغير، كذلك بالرب العظيم.

فالله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين برؤيته، وأخبر النبي ﷺ أن المؤمنين في الجنة سوف يرون الله، كما قال الله سبحانه وتعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} [سورة القيامة].

والنبي ﷺ ذكر في الحديث قال: "فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ"[٦].

---

[١] رواه الطبراني في الكبير. قال الهيثمي: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. صحّحه الضياء المقدسي بإيراده إياه في الأحاديث المختارة.

[٢] رواه مسلم من طريق أبي ذر رضي الله عنه.

[٣] رواه مسلم من طريق أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

[٤] هذا النص ورد في متون العقيدة. ولقد اختلط على بعض المصنفين فزاده مع حديث: "إِنَّهُ أَعْوَرُ، وإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ".

[٥] روى مسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟" قَالُوا: لَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ "مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا".

[٦] رواه مسلم.

ونُؤمن أيضًا بسائر الصفات، هذا ما يحضرنا من صفات الله عز وجل، التي ورد فيها الأخذ والجدل بين علماء السلف الصالح وأهل البدع وأهل الضلالة.

ونعود إلى الآية: {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}، يتضمن صفة الرحمة، فالله سبحانه وتعالى أرحم منك بنفسك، وأرحم بك من أمك، النبي ﷺ رأى امرأة في السبي بعد انتهاء المعركة تسعى في السبي تبحث عن طفلها الرضيع الحبيب إلى قلبها، فبينما هي تبحث، وجدت الصبي، فَضَمَّته إلى صدرها، وألقمته ثديها، فقال النبي ﷺ: "أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟"[١]، قالوا: لا يا رسول الله قال: لَله أرحم بعباده من هذه بولدها.

وتعلمون أن الله سبحانه وتعالى في سورة الزمر قال: {قُلْ يَا عِبَادِيَ} المسلمين أو الكفار؟ لا كلهم سماهم عباده، قال: قل لهم يا محمد قل يا عبادي أنتم عبادي وأنا ربكم، أنا خالقكم، {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ}. وهذه الآية جميع الناس، الإنس والجن والمسلمين والكفار.

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)}.

ونتأمل في السيرة النبوية، فنرى مظاهر من رحمة الله سبحانه وبحمده، فكيف أن أبا سفيان الذي كان يقود جيش المشركين في معركة أحد، وفي الميمنة والميسرة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، قتلوا سبعين من خيرة الصحابة، ومثلوا بجسد حمزة وغيره من الصحابة الكرام، وشجوا رأس النبي ﷺ، وسقطت رباعيته، ودخلت حلقتا المغفر في وجنتيه، وحفروا له الحفر وألقوا عليه الحجارة، وسقط في تلك الحفر، فما استطاع بعد هذه المعركة أن يقوم على رجليه، وأصابه أذًى شديدًا ﷺ في بدنه وفي نفسه، عندما رأى جسد حمزة وقد تقطع، ومثلوا به.

فكانت معركة شديدة على قلب النبي ﷺ، وقتل فيها من خيرة أصحابه، كحمزة ومصعب بن عمير وسعد بن الربيع وعبد الله بن حرام بن ملحان وعمرو بن الجموح وأنس

[١] متفق عليه.

بن النضر، وغيرهم من الصحابة الكرام، فمع هذا الأمر وهذه الشدة، الله سبحانه وبحمده الرحيم الرحمن يقلب بقلوب هؤلاء صناديد المشركين الذين خرجوا من مكة يحادون الله ورسوله ويقتلون أولياءه، اختارهم الله لنصرة دينه، فجعلهم من القادة الفاتحين.

فأبو سفيان أسلم وحسن إسلامه، فقئت عينه في سبيل الله، فكان يمر على المسلمين في الخيم في معركة اليرموك، يحرِّضهم على قتال الروم، ومات رضي الله عنه بعد أن حسن إسلامه.

وخالد بن الوليد وما أدراك ما خالد بن الوليد، عندما تكلم فيه أحد الصحابة، قال النبي ﷺ: "لَا تَسُبُّوا خَالِدًا، فَإِنَّهُ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، سَلّهُ اللهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ[١]"[٢]، صولاته وجولاته في الشام والعراق معروفة، بعد أن حادَّ الله ورسوله وتسبب في هذه المقتلة العظيمة؛ يحمل راية لا إله إلا الله.

وعكرمة، أبي الإسلام أبى الإسلام، حتى يوم الفتح هرب من مكة.

بعد سنين من المحاربة لهذا الدين، الرحمن الرحيم هداه، وقُتل كما جاء ذكر بعض أهل السير هو وابنه في أرض الشام، فهذه رحمة الرحيم الرحمن سبحانه وبحمده.

خالد بن الوليد في إحدى المعارك مع الروم، خرج له أمير الجيش وكان اسمه جرجة، أمير الجيش أمير جيش الروم يحارب الصحابة الكرام أهل القرآن أهل الإيمان، ويخرج يتكلم مع خالد بفرسه، تقدم الصُفوف، وتكلم معه خالد رضي الله عنه، وقال: أسألك هل آتاك الله سيفًا نزل من السماء، ولماذا أنت سُميت سيف الله؟، ثم قال له: إلى ماذا تدعون؟، قال: ندعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله، كما جاء في الرواية، وإلى ترك الزنا، وترك الخمر، وترك أكل الميتة، ودين الجاهلية، وأن لا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا، نعبد الله وحده، ومن أسلم أخونا، له ما لنا عليه ما علينا، ومن أبى.. إلى آخر الرواية

[١] "والمنافقين" هو من حديث آخر رواه الإمام أحمد: "نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ".

[٢] رواه أبو يعلى والواقدي في المغازي، قال ابن حجر: صحيح الإسناد.

أنه بيَّن له موجز عن الإسلام. قال وماذا يفعل الذي يريد أن يسلم؟ قال: يغتسل ويتشهد ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فانصرف بحصانه مع خالد ودخل الخيمة واغتسل وصلَّى مع خالد ركعتين، ثم عاد وقاتل الروم وقتل.

في معركة أحد، أتى رجل وقال: يا رسول الله.. -انظر رحمة الله، كيف الله سبحانه وتعالى رحمه- قال يا رسول الله: أُسلم أو أقاتل؟ هذا كم له الحين؟ الرسول ﷺ الحين له ثلاث سنوات، يعني حِلق علم وذكرى وموعظة وقرآن يتلى وينزل وما يبغى الإسلام، لكن أراد الله أن يأتي بقلبه في يوم المعركة، قال: أُسلم أو أقاتل، قال: "أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ"، فأسلم، فقاتل فقُتل، فما سجد لله سجدة واحدة. فقال النبي ﷺ: "عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا"[١].

السحرة، أتى بهم فرعون، {وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} [سورة الأعراف: ١١١]، يجمعونهم من كل مصر، فعندما اجتمعوا، وعظهم موسى وما اتعظوا، قال: {وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١)} [سورة طه].

وما استمعوا، وما انتصحوا لنصيحة موسى، وهذه مهمة جدًا، بعض الناس ما يتمنى هداية الناس، موسى الآن معه العصا التي رأى كيف تنقلب إلى ثعبان عظيم، وكلمه الله، وفي قلبه من الإيمان والطمأنينة والثبات ما لا يعلم به إلا الله.

ما قال: ما نريد نناصحهم، خلِّهم الآن، الله يهلكهم، الله يعذِّبهم. ينصح قال: {وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١)}.

يرجو هداية الناس، وهكذا الأنبياء والرسل، يرجون هداية الناس، وذكرها الله على لسان أكثر من نبي في القرآن الكريم، {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١)} [سورة الأحقاف]. أقاتلكم، ولكن في نفس الوقت أخاف عليكم عذاب الله، ولو آمنتم لفرحت بإيمانكم، إذا اجتمعت في قلب المؤمن تجتمع ولا ما تجتمع؟ تجتمع، رغبة في هداية الناس، والثبات في إقامة أمر الله فيهم.

---

[١] رواه البخاري.

عندما رأوا هذه الآية، قال الله سبحانه وتعالى: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠)} [سورة طه]، الله رحمهم هؤلاء السحرة، وأدخلهم في دينه وثبتهم، فثبتوا وأصبحوا كما قال أحد الصحابة: (أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء).

فالله رحيم.

أيضًا، إذا علمت أن الله رحيم ورحمَن، لن تيأس من دعوة المعرضين لن تيأس، ستدعوهم الليل والنهار سرًّا وجهرًا، وتؤمن أن الله إن شاء هداهم ورحمهم، ولستَ إلا سببًا من الأسباب، وليس عليك هداهم، نقف عند هذا، والله أعلم.

صلى الله وسلم على نبينا محمد.

الدرس الخامس: تفسير باقي الآيات

إِنَّ الْحمد للَّه نحمده ونستعينه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أَعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا يا رب العالمين.

اليوم مع سورة الفاتحة، فتؤمن أن الله رب العالمين.

الشمس هذه كم كبرها؟ أكبر من الأرض مرات كثيرة، تبعد عن الأرض ملايين الأميال، ترى الشمس لو اقتربت قليلا احترقنا، ولو ابتعدت قليلا يبسنا ومتنا من البرد، الشمس تجري ليس على كيفها لا {ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)} قال: {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)} [سورة يس]، فهذا المخلوق العظيم يسير بأمر الله سبحانه وتعالى.

لابد أن تؤمن، تؤمن أن هذا الكون وما فيه من مخلوقات بيد الله عز وجل، هو الذي خلقهم وهو الذي يعلم بهم، وهو الذي يتصرف فيهم، يعز من يشاء يذل من يشاء، يؤتي الملك من يشاء ينزع الملك ممن يشاء.

انظر حسني مبارك، كيف كان يمشي قبل حسني مبارك كيف شكله كيف صورته، طاغية طاغوت، كيف الله ذله رأيتم كيف؟ يأتي بالإسعاف ويذهب بالإسعاف، بعدها وضعوه في السجن، القاضي (الطاغوت الثاني).. كلهم طواغيت، القاضي ينادي: محمد حسني مبارك. يقول: حاضر يا فندم، حاضر يا فندم. انظر سجين حاضر يا فندم وكل شوي شكله يحك وجهه هكذا، انظر سبحان الله كيف أذله الله أمام الناس.

أين هذا معمر القذافي أين مسكوه؟ هو قال: يا جرذان. يقول لشعبه يا جرذان، من أين أخرجوه؟ من مكان الجرذان أخرجوه، انظر الله نزع ملكه الله أذله.

والملعون الثاني ذاك انظر شين العابدين يسمون أنفسهم زين العابدين حتى الحجاب منعه، مرة بعد منع الحج ومنع الحجاب والصلاة تصلي في المسجد أكثر من فرض ما أدري كم فرض يمسكونك يودونك الأمن السياسي ما أدري أين، قاعد يطير في السماء ما أحد يستقبله، ترى بوريكم الحين الخبث طواغيت العرب، تدرون أن كل دول الكفر عيت تستقبله يسوي مراسلاته في السماء عشان يروح لفرنسا فرنسا الصليبية عيت تستقبل شين الفاسقين هذا، مين استقبله؟ السعودية، أخبث الدول هذه الدولة السعودية، دول الخليج هذه هي اللي تدير المعارك هنا بفلوسها، سواء الدعم للأمريكان ولا الدعم للجيش الحر من أين يأتي؟ من هؤلاء الملاعين آل سعود.

من يدعم الغارات هذه؟ من يدعمها؟ هم هم يدعمون ببترول يدعمون الحروب هذه كلها ضد المسلمين عشان ما تقوم دولة الإسلام الصحيحة فتنكشف الأقنعة عنهم وتزول دولتهم، لأنهم يدرون أنهم هم في الدور بإذن الله وفي الطريق قادمون بإذن الله عز وجل، وإذا ما نحن جئناهم يأتوهم الشباب هؤلاء الذين يتربون على الدين وعلى التوحيد بإذن الله ينزعون الملك منهم بأمر الله عز وجل.

قاعد يطير في السماء استقبله وين استقبلوه الجزيرة، والنبي ﷺ يقول: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثاً"[١]. إلى الآن قاعد يأكل ويشرب ما فعلوا له شيئًا، وهذا الملعون الطاغوت بشار سيأتيه يوم بإذن الله.

الله يقول سبحانه وتعالى بعض الناس يظن أن الله غافل عن الظالمين، لذلك الله يقول: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا} لا تظن أن الله غافل الله ليس بغافل لكن له حكمة وله أمر يريده سبحانه وتعالى بإمهال الطاغية هذا، {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢)} [سورة إبراهيم]، النبي ﷺ نحن أحب لله أم الرسول؟ الرسول أحب لله منا صح أم لا.

---

[١] رواه مسلم.

١٣ سنة والكفار هم الحكومة، الكفار والأصنام، ٣٦٠ صنمًا حول الكعبة والصحابة ما يقدرون يسجدون عند الكعبة، الصحابة أولياء الله ومعهم رسول الله وكعبة الله أمامهم ما يقدرون يسجدون عندها ولا يركعون، الكفار القوة لهم، أين ذهبوا ليعبدوا الله أين؟ في الحبشة عند النصارى أذن النبي ﷺ لهم ليهاجروا في سبيل الله بدينهم.

ما باقي إلا النبي ﷺ وأبو بكر وبعض الصحابة وبعض الموالي الذين ما كانوا يقدرون يهربون، مستعبدوهم يربطونهم، مثل الخباب بن الأرت وبلال بن رباح، ويؤذونهم ويعذبونهم.

يعني الله ما يحبهم؟ الله يحبهم هؤلاء أولياء الله وهذا رسول الله، ولكن له حكمة سبحانه.

سلى الجزور الذي يطلع من بطن البعير هذا يضعونه على ظهر النبي وهو ساجد، الذي وضع سلى الجزور والذين قعدوا يضحكون على النبي ﷺ ماتوا ذاك اليوم؟ السنة التي بعدها؟ السنة التي بعدها؟ ما صار لهم شيء، كل العهد المكي ما صار لهم شيء.

النبي ﷺ التفت فإذا أبو جهل والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وأمية بن خلف يتساقطون على بعض من الضحك، يضحكون يطيحون على بعض ومستأنسون أن النبي ﷺ وُضع على ظهره سلى الجزور، ما قدر ابن مسعود يقول ما قدرنا نزيح سلى الجزور، من الذي أزاحه؟ فاطمة رضي الله عنها.

فقال النبي ﷺ: "اللهُمَّ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ[١]"[٢].

هؤلاء متى قسم الله ظهورهم؟ في السنة الثانية من الهجرة، في غزوة بدر، قسم الله ظهورهم، وقُتل سبعون من صناديد المشركين.

---

[١] في الصوتي ذكر: (اللهم عليك بأبي جهل، اللهم عليك بالعاص بن وائل، اللهم عليك بالنضر بن الحارث) ولم يرو هذا عن أحد فتم تصحيحه على المروي.

[٢] رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وغيرهم من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)} [سورة الطارق]، هم يكيدون بشار وأعوانه ودول العالم هذه كانت تكيد، والله هم يكيدون لكم، يكيدون لأهل الشام، لكن الله كاد لكم.

وترى من رحمات الله وبركاته على أهل هذه البلد كيف أن الإسلام الذي يُحارب في جميع هذه الدول، ولا يُدرس في مدارسها، ولا في مساجدها، ولا في منابرها، أصبح الآن يتجذر في قلوب أهل الشام، خاصة النشء الشباب الصغار.

والله لَيركِّعوا أمم الكفر بإذن الله عز وجل، يتربون على التوحيد، على نبذ الشرك، على موالاة المؤمنين، على البراءة من الكافرين، على حب الله، على حب الرسول، بإذن الله الصولة القادمة للمسلمين.

وهم الآن يدرون، سبحان الله، الله أمهلهم، وسبحان الله كلما طالت الحرب الآن، كلما طالت مدة الحرب، وكلما بقيت الدولة الإسلامية مسيطرة على هذه المناطق، كلما دخل الخير في القلوب وفي البيوت، والناس ما تعلم عنها.

بعدها تتضح الآثار، يخرج الجيل الذي يخاف منه السديس، السديس ماذا قال في الحرم؟ في الحرم، أنا سمعت خطبة، قال: تنظيم الدولة الإسلامية، قال يُخرجون لنا جيلًا يؤمن بالعنف والصراع بين الحضارات، ولا يؤمن بالحوار وتناغمها.

أقسم برب هذا المسجد سبحانه وتعالى، أن هذا الكلام قاله السديس في منبر الكعبة: (يخرجون لنا جيلًا يؤمن بالعنف والصراع بين الحضارات)، ماذا نفعل بالكفار الذين لا يريدون الدين ولا يريدون الإسلام ويقتلوننا؟ نقبصهم[١] يعني؟ يؤمنون بالعنف والصراع، الصراع ما توقفه أنت يا السديس، الصراع ما ينتهي، إلى أن ينزل عيسى ابن مريم، ويخرج يأجوج ومأجوج، والله يهلكهم، بعدها يتوفى الله المؤمنين.

ما ينتهي الصراع، الله جعل الصراع قدر الصراع، حتى تتبين الصفوف، ويتميز من هم أهل الجنة ومن هم أهل النار عياذًا بالله.

---

[١] أي نقرصهم، من القرص.

الصراع بين الحضارات، ولا يؤمنون بتحاورها وتناغمها. تحاورها فهمناها، لكن تناغم؟ تناغم الحضارات، هذا دكتوراة هذا عبد الرحمن السديس، هذا نموذج من نماذج هؤلاء علماء السوء الذين أضلوا المسلمين، والله نشوف من هؤلاء المشايخ الباقين أعوذ بالله، كلهم يعظمون الطواغيت ويحاربون المجاهدين، على طول أصلًا هل رأيتم خطيب الحرم يقرأ بنفسه؟ ورقة أصلًا، لو غيَّر حرفًا ما نعرف ماذا يحدث له.

يقرأ، طيب، أنت دكتور، ولا أدري لماذا لا تخطب بدون ورقة، لأن الورقة هذه من وزارة الداخلية، وزارة الداخلية، مَن يشرف عليها أيضًا؟ أوباما ومشرفوه، يرون الخطب هذه.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ} اسمان من أسماء الله تعالى، تتضمن صفة من صفاته ألا وهي صفة الرحمة، فربنا رحيم رحمن.

الله يقول: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} [سورة الأنفال: ٣٨]، سبحان الله رحمة الله واسعة.

اليوم لو تتوب وأنت أكفر الناس، تتوب اليوم الله يتوب عليك.

خالد بن الوليد رضي الله عنه، تدري ماذا فعل؟ قتل المسلمين، معركة أحد من تسبَّب في مقتل الصحابة؟ خالد رضي الله عنه، لَف، رأى الجبل، نزل الصحابة الرماة، لف عليهم من الخلف، وجاء الجيش من خلفه وعاد المشركون الذين هربوا، وقتلوا سبعين من الصحابة، ومثَّلوا بأجسادهم.

حمزة رضي الله عنه بقروا بطنه رضي الله عنه، والنبي ﷺ تأثر، حزن حزنًا شديدًا على قتل حمزة.

مصعب بن عمير قتل، وعبد الله بن جحش، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وخيرة الصحابة، قتلوا في معركة أحد.

مَن كان يقودها؟ أبو سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وخالد رضي الله عنهم في الميمنة والميسرة، وكل هؤلاء أسلموا.

انظر هذه رحمة الله، كلهم أسلموا وصاروا من الفاتحين، خالد، ماذا صار بعدها؟ تكلم عليه مَن تكلم من الصحابة، قال النبي ﷺ: "لَا تَسُبُّوا خَالِدًا، فَإِنَّهُ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ"[١].

وسهيل بن عمرو، لعنه النبي ﷺ ودعا عليه وأسلم، أربعة دعا عليهم النبي ﷺ قال: "اللهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللهُمَّ الْعَنْ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، اللهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، اللهُمَّ الْعَنِ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ -أخو أبو جهل-"[٢].

كل هؤلاء أسلموا، نزل قول الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)} [سورة آل عمران]؛ فالرحيم الرحمن تاب عليهم وهذه من رحمة الله.

فإذا علمنا أن ربنا رحيم، نطرق بابه ونعود، متى ما أذنبنا وأسرفنا، رحنا يمينًا أو يسارًا، نرجع إلى الله عز وجل ونتوب، هو الرحيم الرحمن.

{الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}: يوم الدين، هو يوم القيامة، أي يوم الحساب، ويوم الجزاء، الذي يملك ذلك اليوم هو الله.

قال الله سبحانه وتعالى: {لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)} [سورة غافر]، وقال سبحانه وتعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)} [سورة الأنبياء].

تُعرض الأعمال والصحف، {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠)} [سورة التكوير] مكشوفة، كل شيء، يقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة (انظر الصغيرة قبل الكبيرة) ولا كبيرة إلا أحصاها، نظراتك، ذهابك، إيابك، أموالك، أين ذهبت ومن أين أتيت، كل يوم تسجيل، كل يوم، {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١)} [سورة الانفطار].

---

[١] رواه أبو يعلى والواقدي في المغازي، قال ابن حجر: صحيح الإسناد.

[٢] رواه الطبري في تفسيره والترمذي من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وروى بنحوه الإمام أحمد دون: "أبا سفيان".

يوم القيامة، تفزع الخلائق، والله سبحانه وتعالى قال: {فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ} [سورة الزمر: ٦٨].

فنستشعر هذا اليوم، كلما قرأنا {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، نستشعر أن هناك يومًا للدين ويومًا للحساب، يوم الوقوف بين يدي الله، النبي ﷺ كان يبكي يذكر يوم القيامة ويبكي وهو رسول الله ﷺ.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، بعدها سبحان الله، الآن الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة، السيئة واحدة ويمكن أن تُغفر، لكن انظر تجارة رابحة، الأعمال الصالحة ميزان، لا تستهن بالحسنات، اشتغل في الدنيا ما دمت حيًّا، استغل وقتك في الحسنات، "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"[١]، بعضهم قد يمر عليه شهران ولم يبتسم، شهران يمكن وما يبتسم مثل الضب هكذا ساكت، لو تتبسم في وجه المسلم صدقة، تميط الأذى عن الطريق صدقة، تأمر بالمعروف صدقة، تنهى عن المنكر صدقة، وتقرأ القرآن، الحرف بحسنة إلى عشر أمثالها.

فيوم القيامة ستجد حسنات وسيئات، وهناك ناس يطلبونك، تلقى ناسًا يعطيهم الله من حسناتك، بعدها ما يسألونك شيئًا، أنت أخطأت على أحد، يوم القيامة خلاص يأخذ من حسناتك، يرضيه هذا.

قال النبي ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قالوا: المفلس فينا من لا دينارَ ولا متاع له. قال: "الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"[٢].

---

[١] رواه مسلم وأحمد.

[٢] رواه مسلم.

والعياذ بالله، يعني إذا صار عندك حسنات، الحمد لله، كل يوم ترى الحسنات تذهب، لكن بعض الناس ناسٍ أصلًا أن هناك ملائكة، أو ناسٍ الكتب وناسٍ السجلات، فنستشعر هذا الأمر.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} إياك نعبد، تكلمنا عنها ثلاثة أيام، معنى: لا إله إلا الله، أي لا نعبد إلا الله، إياك نعبد لا نعبد إلا أنت، لا نصلي إلا لك، لا نحج إلا لك، لا نصوم إلا لك، لا نخاف إلا أنت، لا نرجو إلا أنت، لا نتوكل إلا عليك، لا ندعو إلا أنت، لا نستغيث إلا بك، لا نستعين إلا بك، لا نستعيذ إلا بك، لا نطلب المدد إلا منك، لا نُحكم إلا أنت، ما نحكم فلان وعلان والدستور والكلام الفارغ، نُحكم ربنا جل وعلا، وهذه عبادة نصرفها لله وحده.

إياك نعبد أي لا نعبد إلا أنت، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، اهدنا أي: دُلَّنا وأرشدنا ووفقنا وثبتنا، لأنك الآن أنت جالس مثلًا وتريد أن تقوم، فأقول لك: اجلس، اجلس. أنت جالس، وأقول لك: اجلس. أعني استمر في جلوسك.

{اهْدِنَا} تأتي أيضًا بمعنى: ثبتنا على الهداية، ودلنا وأرشدنا. لأنك أنت دائمًا تحتاج إلى الهداية.

صليت المغرب، قلت: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، لأنك من المغرب إلى الفجر، أو إلى أن تصلي الليل تقول: {اهْدِنَا}، أنت محتاج إلى ماذا؟ إلى أن يهديك الله سبحانه وتعالى ويتولى أمرك.

{اهْدِنَا} أي: دلنا، وأرشدنا الصراط المستقيم، أي الطريق الذي لا عوج فيه، صراط مَن؟ طريق مَن؟ صراط الذين أنعمت عليهم، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون.

{غَيْرِ الْمَغْضُــوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّــالِّينَ}: {الْمَغْضُــوبِ عَلَيْهِمْ} مَن؟ اليهــود، و{الضَّــالِّينَ} هم النصــارى. آمين، أي اللهمَّ اســتجب، وهــذه هي الفاتحــة وهــذا تفســير ســورة الفاتحــة، ونستشعر هذه الصلاة وما نقرأه فيها من الآيات وما نذكر الله به من أذكار في هذه الصلاة.

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

لا تنسوا إخوانكم من الدعاء



